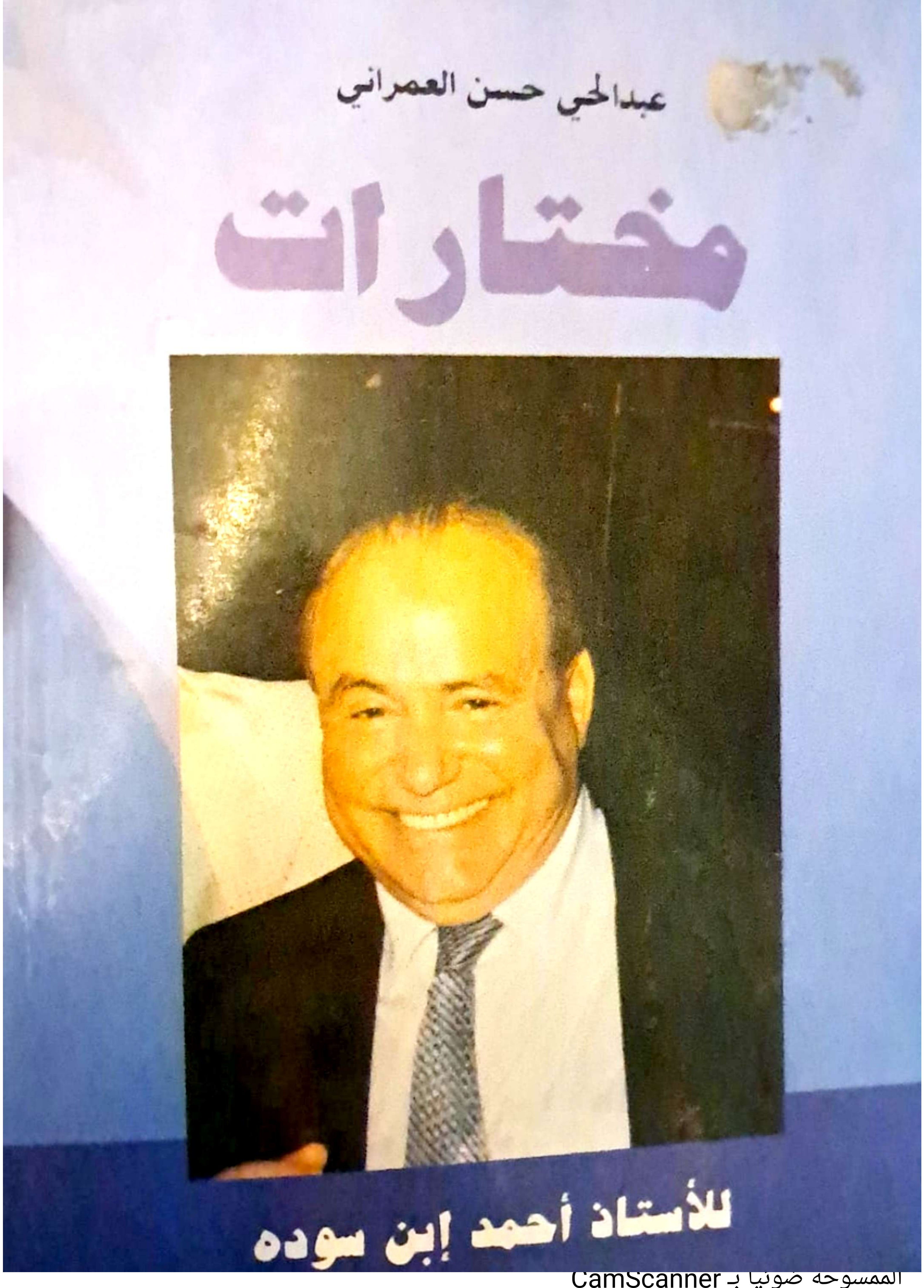

عبدالحي حسن العمراني
مختارات
للأستاذ أحمد إبن سوده

أحمد إبن سودة

مختارات

أحمد إبن سودة

مختارات

تصميم وطباعة
الشركة المغربية للطباعة والنشر
The Moroccan Printing and Publishing Co.

❏ مختارات ـ أحمد إبن سودة
❏ الطبعة الأولى 1991
❏ الناشر: الشركة السعودية للأبحاث والنشر
❏ تصميم وطباعة: الشركة المغربية للطباعة والنشر
43 زنقة أبو فارس المريني ـ الطابق 3
الهاتف: 766100 الفاكس: 766055 ـ الرباط ـ المغرب
❏ الإيداع القانوني: 770 ـ 1991

عبد الله كنون .. العالم المهاجر

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه المبين «ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراوغا كثيرا وسعة» ومن يخرج بدينه مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله». وورد في آية ثانية «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال والنساء لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم» صدق الله العظيم.

لقد فقد المغرب في الصيف الماضي قطبا بارزا من أقطاب العلم والقلم والجهاد الفكري والاصلاح والصلاح، العالم الأديب، عضو المجامع وحجة المراجع السيد عبد الله كنون رحمه الله.

ومنذ وفاته الى الآن قيل وكتب الكثير عن سيرة الفقيد ومآثره ومكانته وذخائره مما خلف من مصنفات في الأدب والتاريخ واللغة وأصناف من المعرفة أخرى. وهب لتأبينه وإبراز فضله ومكانته علماء وأدباء من العالم العربي كله.

وإذا كان عبد الله كنون رحمه الله قد قضى نحبه كجسد، فإنه باق بيننا كأثر وكنموذج وكمرشد ومثل أعلى، وإن ما حفزني لأكتب عنه هو أن الرجل كان مهاجرا مجاهدا بعلمه ودينه ووطنيته. فهو واحد من أولئك المجاهدين المهاجرين المصلحين الذين ازدهى بهم تاريخ المغرب الإسلامي، تاريخ بلد الهجرة والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله والذود عن حمى الإسلام وعزة المسلمين.

فسيرة حياة الرجل الذاتية والعلمية هي سيرة جهاد نذر نفسه له من أجل دينه ووطنه وهما عنده لا ينفصل أحدهما عن الآخر.

كان عبد الله كنون رفيق هجرة وجهاد.

وليست قرابة السن، وهي بيني وبينه عقد أو أكثر قليلا هي ما يمنحني حق الادعاء بأن بيني وبينه رفقة عمر تطوقني بواجب الوفاء. بل إنها قرابة الجهاد، وقرابة الهجرة الى هذا الجهاد ومن

أجله ابتغاء مرضاة الله.

ورغم أن طريق الجهاد من أجل ديننا وعزة وطننا كان واحدا، فإن كل نفر من رفقاء هذا الطريق حمل على أكتافه أثقالا مختلفة عن الآخر. وخاض سبلا وشعابا متفرقة، ولكن وهج الهدف كان متألقا في الأفق يجذبنا إليه فتهون دون الوصول اليه كل الصعاب.

لقد شاء الله لجيلنا، جيل الفقيد عبد الله كنون وجيلي، أن نفتح أعيننا على مغرب تمكنت من جسده يد البغي والكفر والعدوان، فهي تنشب في ألحمه أظافرها المسمومة تمزقه حقدا وتشفيا، وتهم بروحه لتفتك بها وتمسخها، ولكن «ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون».

كان بيته رحمه الله في فاس، وهي سويداء العين في محيا المغرب الحزين آنذاك، ومدينة أسسها إدريس بن إدريس على تقوى من الله ورضوان لتكون مربض جهاد ومنارة عرفان... كان بيته بيت علم وصلاح وملتقى علماء وتقاة. وكان والده عبد الصمد بن التهامي كنون الحسني عالما جليلا، عاش وشاهد الفاجعة التي حلت بوطن الاسلام، المغرب، وطن المجاهدين والحماة، فانبرى بالدعوة يوقظ بها همة الغافلين، وبالنصيحة يسديها لأمير المؤمنين، امتثالا لقوله تعالى «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك هم المصلحون» ولقول نبينا الكريم «لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق حتى يأتي أمر الله».

وارتفع صوته مع أصوات علماء آخرين تدعوا إلى النفرة والجهاد، ذلك أن ما حل بالمغرب في نظرهم لم يكن مجرد استعمار واحتلال، بل هجمة للكفر على ديار الاسلام والمسلمين، لذلك فإن محاربة الكافر من أوجب الواجبات على المسلمين والجهاد في سبيل ذلك فريضة عملا بقوله تعالى «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن أمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله» وقوله تعالى «وجاهدوا في الله حق جهاده» والجهاد إلتزام لا يسقطه ضعف الحيلة، أو نفاذ الأداة والوسيلة، فهو موقف ثابت يتسلح به المؤمن فيصون عزة نفسه، ويذود عن حمى ملته وأمته.

بهذا الموقف وذلك الالتزام واجه العلماء والمصلحون في المغرب فاجعة استعمار بلادهم. وحينما رأوا رياح الكفر عاتية، وجولة الباطل كاسحة طاغية، نفروا للهجرة احتماء واصطبارا، لا ضعفا أو هروبا وفرارا، قدوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته المؤمنين حينما تغلب الكفر في مكة، فكانت هجرته بدعوته وعشيرته وصحبه الى المدينة المنورة للاستعداد والتربص وإكتساب القوة لمواجهة الكفار.

وهكذا حينما اشتد الأمر وأحدقت الكارثة وأعلنت الحماية على المغرب سنة 1912، رأى بعض العلماء الذين يؤمنون بأنه لا يمكن التساكن والتعايش بين الكفر والإسلام تحت سقف واحد، ولا يمكن الخضوع للكافرين لقوله تعالى «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا» هاجروا من ديارهم يستنجدون إخوانهم، ويستنفرون أبناء ملتهم لمقاومة العدو وتأليب الرأي العام عليه. وشهدت السنوات الأولى بعد فرض الحماية هجرة كثير من العلماء المصلحين والغيورين نزحوا منازح شتى، أذكر منهم على سبيل المثال الشيخ الإمام محمد بن جعفر الكتاني الذي هاجر إلى الشام في ذلك الوقت حيث كانت لا تزال تحت حكم الخلافة العثمانية، لنشر الدعوة ضد الاستعمار الفرنسي وطلب العون من الخلافة العثمانية لصد عدوانه على المغرب المسلم. وأقام الكتاني بالشام داعيا مستنفرا منددا بالاستعمار. وحينما ظهر الغازي مصطفى كمال كان يلقي المحاضرات والخطب، في الجيش العثماني حاثا إياه على الاستشهاد والصمود، وقضي الأمر باحتلال فرنسا لبلاد الشام فعاد الكتاني الى بلده.

وفي نفس الفترة ، ولنفس الدواعي والدوافع غادرت الأسرة الكنونية مدينة فاس وكانت الوجهة التي عزم عليها والد عبد الله كنون هي التوجه الى الشام للاستنجاد بالخلافة العثمانية والدعوة لمحاربة فرنسا التي احتلت المغرب ايمانا منه بأن دار الاسلام واحدة، وواجب الجهاد يدعو كل مسلم لإنجاد أخيه أينما كان، ذلك أن هذه العقيدة ميزت، وطبعت مواقف المغرب ، وتاريخه الجهادي الطويل سواء في اتجاه الأندلس أو في اتجاه المشرق.

ولكن والد عبد الله كنون لم يتمكن من مغادرة مدينة طنجة

التي قصدها للعبور منها الى الديار المقدسة ثم الى الشام، فقد كانت الحرب العالمية الأولى قد اندلعت فتوقفت الرحلات البحرية التجارية من وإلى المغرب. فأقام بطنجة متحينا الفرصة الى ما انتوى.

وتربى عبد الله كنون ونشأ في جو أسرة هجرت دارها ومقامها لا طلبا لراحة أو استبدالا لحال بحال، ولكن إلتماسا لقوة بعد ضعف وعزة بعد هوان. وشاء الله أن تكون مدينة طنجة هي دار الهجرة لعبد الله كنون بعد وفاة والده. ومن هذه المدينة التي هي أخر نقطة ترابية في الغرب الاسلامي بافريقيا، برز نجم العالم المجاهد عبد الله كنون.

لقد تلقى عبد الله كنون من والده و من وسطه دروس العلم ودروس الجهاد ودروس الوطنية ، وتفتحت مداركه فرأى ما عليه وطنه من مهانة وخضوع للاستعمار، وأدرك ووعى أن الخطر الحقيقي الذي يمثله الاستعمار يتجلى في أنه لا يريد الاكتفاء بسلب سيادة المغرب ونهب خيراته وثرواته، بل يسعى جاهدا لمسخ تاريخه وطمس هويته والقضاء على مقوماته المتمثلة في هذا الثالوث: الدين، الهوية، التراث. كان الاحساس بهذا الخطر عميقا في نفوس المصلحين الذين تصدوا للهجمة الاستعمارية بالسلاح والثورات التي اجتاحت المغرب من أقصاه الى اقصاه. ثم بالدعوة والتوجيه والتربية والتوعية لإعداد الشعب وتعبئته.

من طنجة بدأت هجرته الجهادية، وقد شب عن طوق المراهقة الفكرية، ونبذ حياة الدعة ولبس لبوس المجاهدين، ونذر نفسه لخوض المعارك، في ثلاث واجهات: الجهاد لإيقاظ الحمية الدينية في قلوب أهله، فلا نجاة لهم مما لحق بوطنهم وأنفسهم إلا بالعودة الى الدين الحنيف الطاهر النقي، فهو درعهم الواقي وقوتهم الضاربة، به يعزوا وبدونه يذلوا.

والواجهة الثانية ، هي الهوية الوطنية المغربية ، هذه الهوية التي صهرها تاريخ مجيد من الوحدة والتلاحم والانتصارات والابداع الحضاري، فقامت بها وعلى أساسها أمة مغربية إسلامية لها أرض ودولة ومقدسات وقيم ورسالة، هوية يعرف بها المغربي نفسه ويعرف العالم بها من هو هذا المغربي في شكله وهندامه

وأخلاقه ونبله وكرمه وإبائه. بدون هذه الهوية نحسب بالأرقام، ونتيه فوق الأرض كالأنعام، وبها تستقيم بنا وتثقل ونرفع رؤوسنا بين الأمم وتكون لنا سمة الشعب الموحد الهمام. والواجهة الثالثة هي التراث، وهو بعيدا عن متاهات الأوصاف وحدود النظريات والأوصاف، تراث أمتنا الماجدة وحصيلة إبداعاتها الخالدة، تراث شامخ بيننا في البنيان، شاهد على عبقريتنا في كل مكان، مسجل في صفحات الكتب، سائر على الألسنة سريان قوافل السحب، يشهد عن إبداعنا وإنتاجنا وإسهامنا وسبقنا في مضامير الفكر والعلم والأدب والفنون، تراث أمة عبقرية، وهمة أبية، ودولة عقد لها الزمان لواء الخلود، وأئمة ذاع صيتهم في الوجود.

في هذه الواجهات الثلاث، خاض عبد الله كنون معارك الجهاد. وامتطى سنم النفرة والاستنفار، وشحذ همته وقلمه، فكان علما من أعلام السلفية وقطبا من أقطاب الوطنية، وقد اختار الجهاد الأكبر والأجل لا من أجل غاية يمكن ادراكها بلا جهد، ولكن من أجل غاية يعز تحقيقها وتهون دونها الصعاب، ألا وهي تحرير العقول من أسر الاستسلام وسراب الأحلام، وإيقاظ همة التنقيب والسؤال، وركوب مشقة الاجتهاد، وبحث ما ظهر أو خفي من الأقوال والأفعال.

ولقد أدرك رحمه الله ان للكفاح شعلة لا بد من إذكائها، وروحا لا بد من إيقاظها، وأن الأمة المغربية في حاجة إلى من يوقظ همتها الساكنة وعزمتها النائمة، والسبيل الوحيد الى ذلك هو عودتها الى دينها ووعيها بهويتها وتشبعها بتراثها، وهو بذلك كان يصدر عن إيمان صاف عميق متأجج، ووعي سليم ورجاحة عقل عظيم. فلقد كان المغرب بعد فرض الحماية عليه مهددا بحملة صليبية استعمارية تستهدف فرض حماية أخرى على روحه وكيانه بعد أن فرضت الحماية على سيادته وإرادته السياسية، أدرك أن المعركة الأكبر والأجل والأخطر قد دقت نواقيسها، وأذنت، في الناس بحلولها بعد ان نفذت الذخيرة من سلاح المجاهدين في الوهاد والجبال، واستنجد المغرب بجيل آخر من الرجال، معاقلهم المساجد، ومرابضهم المدارس والمعاهد، وسلاحهم الدعوة الى الإصلاح والصلاح، والابقاء على جذوة الكفاح مشتعلة في الصدور.

لقد قدر الله لعبد الله كنون ان يكون من تلك الصفوة الطاهرة من حراس هذا الوطن، صفوة العلماء المجاهدين . أولئك الرجال الذين تتزين بذكراهم منافذ الوطن وثغوره . فهي شواهد على أن للمغرب، في كل وقت رجال يحمونه ويذودون عن كرامته وهويته وتراثه . يصدون عنه العدوان ويمنعون عنه عاديات الزمان.

تلك الصفوة التي كان عبد الله كنون رحمه الله نجمة في سمائها الصافية تصدت للدعوة والارشاد، والتحريض الفكري، والروحي على الجهاد، فكان صوتها مدويا في قلوب المغاربة، وأرجاء الوطن، تؤجج شعلة الكفاح وتذكيها، تهيب بالمغاربة أن يتسلحوا بدينهم وهويتهم وتراثهم، ولم تكن دعوتهم صيحة في واد، فقد شمروا عن السواعد ، وراحوا ينشرون الدعوة خطابا وكتابا، قولا وفعلا . وخاض عبد الله كنون غمار البحث والتنقيب ، والكشف في مجاهل التاريخ البعيد والقريب، بهمة لا تفتر، وقريحة وقادة كشفت عن موهبة الأديب وعبقرية العالم الأريب، وراح ينشر على الناس في مشارق الأرض ومغاربها درر التاريخ المغربي أدبا وعبقرية، فكانت مجموعته النادرة «النبوغ المغربي» وإني لأعدها في سياق مأثرة من مآثر جهاده العلمي الوطني، فإذا كان قد نفض بها ما علق من غبار النسيان على صفحات مشرقة من تاريخنا الأدبي، فإنه قصد لها قبل ذلك أن تذكي روح العزة في قلوب المغاربة، وخاصة الشبان منهم ليعلموا أي أحفاد هم لأعظم الرجال، وليعملوا بعد أن يعلموا على وصل حاضرهم بماضيهم ، وليشتد عضدهم في الكفاح وهم معتزون بمغربهم ومغربيتهم ، وليقاوموا هجمة الاستعمار التي تستهدف طمس تاريخهم ووأد أحلامهم وقطع دابر صلتهم الروحية والحضارية بماضيهم.

ولقد أدرك الاستعمار أن القوس الذي شرعه عبد الله كنون قد رمى بسهم حاد أصاب المقتل منه، وأنه يوشك أن يصوب الى مقاتل الاستعمار سهاما أخرى، وهكذا كانت تلك الحرب الضروس التي للأسف لم يخصص لها من كتبوا عن تاريخ الكفاح الوطني الا النزر اليسير، وأعني بها حرب الثقافة والتعليم، وهي الحرب التي كان عبد الله كنون احد فرسانها وقادتها اللامعين الصامدين، وهي

الحرب التي دشن بها أبو المجاهدين جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه حياته ومسيرته وقيادته لكفاح شعبه، انطلاقا من القرويين ، إلى التعليم الحر، إلى الكراسي العلمية الى احتضان وتنظيم الطليعة الأولى للكفاح الوطني مجسدة في رواد حركة الاصلاح والسلفية.

ثم أطلق عبد الله كنون سهاما أخرى، فبعد النبوغ المغربي جاءت سلسلة « مشاهير المغرب » والتي صدر منها لحد الآن أربعون جزء وما زالت عشرة أجزاء أخرى تحت الطبع منها واحد عن ملك المجاهدين جلالة المغفور له محمد الخامس.

وأشهر الاستعمار الحرب على المجاهد عبد الله كنون وعلى كتبه التي اعتبرها بحق سلاحا فتاكا إن تمكن منه مغربي صار مجاهدا بطلا لا يهاب المكاره ولا يخشى الردى.

وحينما شقت الحركة الوطنية طريقها في الثلاثينات بعد ملحمة الظهير البربري، كانت الدعوة التي نذر لها عبد الله كنون نفسه قد شاع نورها في القلوب ، واشتد بها عضد جيل المجاهدين السلفيين المصلحين الرواد، واشتعلت جذوة الكفاح واستيقظت روح الجهاد ، وأمن المغرب والمغاربة مغبة الانزلاق الى هاوية الضياع. فبدأت هجرة عبد الله كنون في طريق الجهاد الذي استغرق حياته كلها ، وكان طريقا شاقا وطويلا.

إن هجرة الجهاد، هي في نظري عنوان شخصية وتاريخ وسيرة الراحل عبد الله كنون.

وكأني به في مسكنه في حي القصبة بمدينة طنجة يعتلي ذروة صرح منيف يتطلع منه الى الآفاق شمالا وجنوبا، شرقا وغربا، يرهف السمع الى همس البحر في سكونه، وصخبه في هيجانه، فيرى ما يرى من عوالم، ويستعرض ما يستعرض من صور وملامح ، فيمتشق قلمه كما الفارس يتمشق سيفه، ويفرد الصفحات البيض كما القائد في معركة يتبين موقع رجاله على الخرائط، ويكتب، ثم يكتب، ويقرأ ثم يقرأ، ويلتقي ثم يلتقي بالمحبين والأصدقاء والرواد، والباحثين أفواجا بعد أعداد ، وبينه في حي القصبة بطنجة عاش بعد طفولته وصباه لم يغيره فهو مسكن ذكرياته، ولم يفعل كما فعل الكثيرون فغيروا منازلهم

القديمة بفيلات جديدة، واستبدلوا حياة البساطة بحياة الترف.

ولئن طابت نفسه لطنجة وأنس بها وارتاح لهوائها ومسكنه بها، فإنه كان يشد الرحال إلى الهجرة طلبا للاستزادة من علم مكنون في الصدور، أو مدون في الخزائن والكتب ما هو معروف منها وما هو مغمور، أو الدعوة ونشرها والنفرة الى الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله التي هي كلمة الحق والعدل والحرية، غير هياب ولا خائف من راحة يفقدها او منفعة يفتقدها. وهو في بيته وبين أهله وعشيرته كما هو في أي مكان ينزل به أو ينتقل اليه: العالم الورع ذو الخلق السمح والروح العالية والتواضع المهيب. يتلقى ويستمع حتى يمتلئ وفاضه، ويتحدث ويفسر ويحلل فلا يمل حديثه رواده. وهو في ملبسه ومأكله وحديثه مثال المسلم الصادق الأمين، متشبث بقيم التربية الاسلامية، متشبع بروح التقاليد المغربية، مثال للتطابق العجيب بين مظهره ومخبره، نظيف، عفيف، أليف، يلقى بالكلمة همسا على بساط إبتسامة نورانية تغمر محياه. أتراني أصف لكم قطبا من أقطاب السلف الصالح الذي نحسب أن أثرهم قد انقطع؟ بلى! لقد كان قطبا سلفيا صالحا، ولن ينقطع عن هذه الأمة من يحيي ويتمثل سيرة السلف الصالح مادامت متشبثة بدينها متمسكة بهويتها عاضة بالنواجذ على تراثها.

ومن بيت الهجرة في طنجة، شاء الله أن يهاجر عبد الله كنون الي مدينة تطوان المجاورة وقصة ذلك ان الاستعمار ضاق به في مدينة طنجة، فحاول الايقاع به بين أهله وفي عيون أمته، فبعد الاعتداء على رمز السيادة الوطنية وملك البلاد الشرعي ملك المجاهدين المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، ونفيه من وطنه وإبعاده عن عرش اجداده، أراد الاستعمار بتلك المؤامرة إعادة عجلة التاريخ الى الوراء، وضرب الحركة الوطنية في صميم وجودها ورسالتها، فسعى الى كسب تأييد ومناصرة علماء الأمة قبل غيرهم لعلمه أنهم حماة روح الأمة وحراس الوطن. وهم الاستعمار بعبد الله كنون في مربضه بالقصبة. وهو يعلم أنه يحوم حول حمى اسد هيهات، أن يستسلم أو ينقاد أو يرضى الهوان. وفي اعتقادي أن الاستعمار كان يريد حصاره وقطع كل الطرق على اتصالاته

وإسكات صوته واهما أن الناس ستظن أن الرجل قد استسلم وأذعن. ولكن عبد الله كنون، المجاهد الصلب، والعالم القطب، والوطني الذي لا تلين له قناة، فكر ودبر وأجمع أمره على الهجرة لا طلبا للنجاة، ولكن غضبة وثورة على الطغاة، فكان ما كان من قصة مغادرته بيته في القصبة متنكرا تحت أعين الجواسيس والمخبرين. فدخل تطوان المجاهدة ليشد أزر المجاهدين الوطنيين بها وليحتمي بهم من كيد الكائدين. وفي تطوان كما في فاس وطنجة، كان لعبد الله كنون ما كان من صيت وتأثير ومنزلة رفيعة فتصدر مجالس العلم، وجمع حوله المريدين وطالبي العلم والمحبين، وساهم مساهمة فعالة الى جانب اخوانه المناضلين الوطنيين في تطوان وفي طليعتهم الوطنيان المجاهدين المرحوم السيد عبد الخالق الطريس والاستاذ الشيخ محمد المكي الناصري حفظه الله، ساهما في تلك الملحمة السياسية والنضالية التي خاضها أهل الشمال دفاعا عن حرية الوطن ووحدته تحت قيادة العرش العلوي ووراء ملك المجاهدين جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه. وظل عبد الله كنون يجاهد بالقلم والمواقف والتوجيه والدعوة الى أن عاد ملك البلاد الشرعي وانزاح كابوس المؤامرة على مقدسات الوطن.

وكان لفقيدنا عبد الله كنون صلات محبة صوفية وتعلق روحي عميق مع ملك المجاهدين محمد الخامس قدس الله روحه، وتذكر طنجة ومعها المغرب والعالم تلك الزيارة التاريخية التي قام بها محمد الخامس لمدينة الجهاد والهجرة مدينة طنجة وتذكر عبد الله كنون وهو يقف الى جانب ولي العهد أنذاك جلالة الملك الحسن الثاني وهو يلقي في الجموع الحاشدة خطابه الموجه إلى شباب أمته. وكان ذلك اللقاء بين جلالة المغفور له محمد الخامس وعبد الله كنون في هذه المدينة الصامدة، لقاء المحبة والوفاء بين أمير المؤمنين وعالم جليل حفظ العهد ورعاه أسوة بالتقاة الأوفياء الصالحين من العلماء المغاربة على مختلف العصور، علماء المغرب الذين كانت البيعة أمانة في عنقهم، هم حراسها والمؤتمنون عليها، وهم قادة الأمة الروحيون، المجاهدون المرابطون.

وتبزغ شمس الحرية والاستقلال على بلادنا، ويكلل الله

بالنصر جهاد أمتنا وعرشنا، فلا تتوقف هجرة عبد الله كنون للجهاد ومن أجل الجهاد، أليس محمد الخامس هو القائل بعد عودته من المنفى: لقد خرجنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر. وكان عبد الله كنون علما من أعلام هذا الجهاد الأكبر، وكانت ذخيرته لهذا الجهاد قد تراكمت وكبرت، ذخيرة العلم والقلم والاستاذية الرائدة، فعاد الى طنجة الحبيبة الى قلبه ، مهاجر أثرها موئلا وموطنا ولم يعد الى مسقط رأسه فاس، اقتداء بسيرة سيد المهاجرين وآخر الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، فبعد الفتح والنصر عاد إلى المدينة المنورة. وهكذا سكن عبد الله كنون بيته في القصبة مرابطا، وشاع علمه بين الناس، وتبوأ بين العلماء منزلة التقدير والإكبار، وراح يمخر عباب البحر الذي لا ساحل له : بحر العلم والفكر والبحث والتأليف والكتابة والخطابة ، وأصبح علما من أعلام الفكر والعلم في طول العالم الإسلامي وعرضه، فهو عضو في جميع المجامع العلمية واللغوية في القاهرة وبغداد ودمشق وعمان، وهو رئيس رابطة علماء المغرب تتجدد له بيعة العلماء كل سنة فإليه يرجعون وبهديه يهتدون، وكان من الذين استرشد برأيهم غداة تأسيس أكاديمية المملكة المغربية فهو أحد أعضائها المبرزين.

وشمله جلالة الملك أمير المؤمنين الحسن الثاني حفظه الله برعايته وعطفه وتقديره ، فهو يدعوه دوما إلى كل أمر أو محفل أو مناسبة لها علاقة بجهاده العلمي وهجرته الثقافية، فهو العالم الذي يفتتح به الدروس الحسنية، وهو الخطيب في المناسبات الكبرى، رأيه مسموع، وكلمته لا ترد، فهو يصدر دوما عن إيمان وإخلاص وثاقب رأي ونصح من ناصح أمين. لم يخلف ولدا وكان كل أبناء المغرب أبناءه، لذلك، وقبل أن يتوفاه الله حبس خزانته الزاخرة لتكون ملكا لكل المغاربة ينتفعون بذخائرها ويأنسون بمكنوناتها، ولقد كان قدوة فلم تفتنه الدنيا بزخارفها وإغرائها، وكان في إمكانه أن ينال منها ما يريد من مال وجاه مادي ولكنه كان من مدرسة الإمام الشافعي في قوله المأثور : لو يعلم الناس ما ننعم به لقاتلونا عليه بالسيوف : أي لو يعلم الناس نعمة الكفاف والرضى ومحبة الله.

لقد أدى فقيدنا عبد الله كنون الأمانة خير أداء، وأغمض عينيه وهو مرتاح البال فقد رأى أن المغرب الذي فتح عليه عينيه قد خرج ولله الحمد من المصيبة التي كان الاستعمار يكيدها له، مصيبة مسخ روحه، ووأد هويته، وضياع دينه، وقطع كل صلة بتراثه وهي الواجهات التي كافح فيها عبد الله كنون وأبلى البلاء الحسن، وصد وحمى، وأيقظ ونبه ووجه وربى.

وبغيابه عن دنيانا، كما غاب قبله رواد مثله مجاهدون مثابرون، وكما سيلحق به من بقي من جيله ممن خاضوا مثله الجهاد في نفس الواجهات والساحات، بغياب عبد الله كنون، يغيب قطب من حراس المغرب الأوفياء، حراس مغرب مسلم، وحراس مغرب أصيل ، حراس مغرب بناه وأسسه المولى إدريس الأكبر على تقوى من الله ورضوان ، لكي يكون حارسا للدين، ناشرا لدعوته، وحاملا لرسالته ، مغرب البيعة والأمانة والهوية الأصيلة والتراث الحضاري الزاخر مغرب القرآن والسنة ووحدة المذهب.

غاب عنا عبد الله كنون ليترك لنا أثرا ومآثر. وليترك لنا مدرسة في التفكير والتوجيه، وتلامذة لا يحصى عددهم ، وروادا لا ينتهي عدهم. إنه أستاذ كل الأجيال، أستاذ في الوطنية الطاهرة، أستاذ في التربية والتعليم، أستاذ في البحث واكتشاف مكنونات الفكر المغربي ، أستاذ في التوجيه، أستاذ في السلوك والمعاملات.

ولأنني واحد من جيله ورسالته وجهاده.

ولأنني أعرف حق المعرفة ما قدمه لدينه ووطنه وأمته وملكه، أقول، وبصفة خاصة للأجيال التي تنعم بالأمن والأمان في ظل مغرب حر مستقل، أقول لهذه الأجيال إن عبد الله كنون قد ترك تراثا غنيا مكتوبا في متناول من يريد معرفة قيمة عبد الله كنون العالم الباحث المرشد ولكنه ترك تراثا آخر أغنى وأزخر ألا وهو الرسالة التي ناء بها وتحملها ونذر نفسه لها ولاقى من أجلها الأهوال والصعاب، رسالة المحافظة على روح المغرب وإحيائها ونشر إشعاعها في القلوب والعقول، وروح المغرب التي هي سر وجوده وبقائه واستمراره ، فلتكن هذه الأجيال وفية لرسالة عبد الله كنون وليبرز من بين هذه الأجيال من يحرس هذه الرسالة ويرعاها ويهاجر في سبيلها كما هاجر عبد الله كنون إلى أن لقي

ربه. إن هذه الرسالة هي سر عظمة ونبوغ وخلود عبد الله كنون، رسالة المغرب المسلم المتشبث بدينه المعتصم بهويته العاض بالنواجذ على تراثه.

لقد علمنا عبد الله كنون التفاؤل والأمل الذي لا ينقطع في الله. إنني لمتفائل بمستقبل المغرب المحفوف بعناية الله، والمشمول بجهاد ورعاية وإيمان ملكه وحارسه الأول أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله، والمأمون في ظل تلامذة ورواد عبد الله كنون وأصحابه من المجاهدين المهاجرين. وسيبقى المغرب كما كان ينجب العلماء والمجاهدين والتقاة يحرسونه ويذودون عن دينه وهويته وتراثه.